ليوناردو دا فنشى

Leonardo da Vinci

سنة ١٤٥٢ — ٤ مايو سنة ١٥١٩

ولد ليوناردو عام ١٤٥٢ فى عصر النهضة بقرية فنشى الجبلية بالقرب من فلورانس ، وهو الابن غير الشرعى لمسجل العقود الإيطالى « سربيير أنتونيو دا فنشى » . بعد ولادته تزوجت والدته كاترينا من رجل آخر وتركت ليوناردو طفلا فى رعاية أبيه .

انكب ليوناردو منذ طفولته على هواية الموسيقى لكى يغنى على نغمات « الناى الإيطالى » إذ كان بطبعه يميل إلى الغناء ويسترسل فى تأليف الأغنيات وموسيقاها دون تحضير ، ثم ظهرت بوادر عبقرية ليوناردو منذ أولى سنوات دراسته إذ كان يجادل أستاذه فى الرياضيات ويوجه إليه الأسئلة التى كان يتعذر على أستاذه فى كثير من الأحيان أن يجيبه عليها .

عرف ليوناردو بمدينة فلورانس — حيث كان يقيم — بوسامته ورقته وذكائه ، كان شابا يافعا وسيما قويا ، ملامح وجهه ذات جمال يلفت الأنظار ، شعر رأسه ذهبى اللون جذاب ينحدر على كتفيه ، ولم يكن يعادل جمال وجهه سوى جمال صوته الذى ينطلق فى رخامة وبلاغة قلما اجتمعت لبشر آخر مثل ليوناردو .

فى سنة ١٤٧٠ أخذ والد ليوناردو بذكاء ولده واستعداده الفنى غير العادى فقرر أن يضعه تحت إشراف الفنان الفلورانسى « فيروكيو Verrochio (هو أندريه فيروكيو — ١٤٣٥ — ١٤٨٨ ، نحات ورسام وجواهرجى ومن أعماله فارس يمتطى حصانا وهذا العمل له شهرة عالمية موجود حاليا بمدينة البندقية) ، وما هى إلا فترة قصيرة حتى ظهرت مواهب ليوناردو النادرة وأصبح رساما مرموقا يساعد أستاذه فى إنهاء أعماله الفنية .

فى سنة ١٤٧٢ — أى بعد عامين فقط — استقل ليوناردو بأعماله الفنية وأنتج عدة أعمال فنية أثارت إعجاب فنانى إيطاليا فى عصره ولكنها مع الأسف فقدت ولم يعثر لها على أثر .

فى سنة ١٤٨٢ انتقل ليوناردو إلى ميلانو حاملا معه آلته الموسيقية التى صنعها بنفسه من الفضة الخالصة على شكل رأس حصان وبطريقة محسوبة تعطى للصوت قوة وحلاوة .

كان ليوناردو عندما يلعب على آلته هذه يتفوق على جميع الموسيقيين الذين كان دوق « لوديفيكو سفورزا » — دوق ميلانو يجمعهم للعزف أمامه وأمام ضيوفه ، كما كان أسرعهم فى ارتجال الشعر واستنباط الأنغام الجميلة له . وعندما شعر ليوناردو بإعجاب الدوق بإنتاجه الفنى ومواهبه بعث إليه بكتاب يعرض فيه خدماته عليه ويبدى له أفكاراً جديدة فى شئون الحرب ، وختم كتابه بقوله « فى وقت السلم أعتقد بأننى قادر على أن أكون نظيرا لأى شخص فى الهندسة المعمارية وفى إنشاء المبانى ، المبانى العامة منها والمبانى الخاصة ، وفى نقل المياه من مكان إلى آخر ، بالإضافة إلى أنه يمكننى أن أقوم بكل أنواع النحت سواء فى المرمر أو فى البرونز أو الصلصال ، كما أنه فى الرسم يمكننى أن أقوم بكل ما يمكن لأى شخص آخر — مهما كان — أن يقوم به ، كذلك يمكننى أن أنفذ إقامة تمثال الحصان البرونزى لتخليد ذكرى والدكم وذكرى بيت سفورزا العظيم » .

لم يكن ليوناردو مغاليا على الإطلاق فى تقدير إمكانياته فقبل الدوق لودوفيكو سفورزا عرض ليوناردو فوراً . بقى ليوناردو فى ميلانو يعمل لمدة سبعة عشر عاما ، أغدق عليه الدوق وكافأه وقربه إليه لشخصيته المحبوبة ولفنه الرائع وإنتاجه الغزير حتى أصبح الشخصية الأولى فى بلاط الدوق ، كان ليوناردو يشرف على جميع احتفالات الدوق ، ينظم الأشعار ويكتب القصص والتمثيليات والأغانى . انتشر وباء الطاعون فى ميلانو سنة ١٤٨٥ فبادر ليوناردو برسم تخطيط جديد لمدينة ميلانو على أسس صحية جديدة — وفى العام التالى أعد تخطيطا جديدا لإعادة بناء قلعة عائلة « سفورزا » ، وهى قائمة حتى الآن ويطلق عليها « كاستيللو سفورزيزكو » ، وفى العام الذى يليه كان قد أعد تخطيطا لكاتيدرائية ميلانو المشهورة (دوومو دى ميلانو) .

فى الوقت نفسه كان ليوناردو يدرس الهندسة والفلك والظواهر الجوية وعلوم القوى المحركة والرياضيات وفن الصوت فى البناء جهز ليوناردو أنموذجا لتمثال « فرانشسكو سفورزا » على صهوة جواده الضخم الذى أتمه فى عدة سنوات من العمل المتواصل وبلغ ارتفاعه ما يقرب من الثمانية أمتار وعرض بميلانو سنة ١٤٩٣ . لم يقدر لهذا التمثال الضخم والعمل الفنى الرائع أن يصب فى قالب من البرونز كما كان مقدراً له من قبل إذ أغار الفرنسيون على ميلانو فى سنة ١٤٩٩ ودمروا التمثال . (فرانشسكو سفورزا) ١٤٠١ — ١٤٦٦ (أحد أبطال عائلة سفورزا وهى عائلة وصلت إلى أن تتولى دوقية ميلانو من سنة ١٤٥٤ حتى سنة ١٥٣٥ — وهو أول دوق لميلانو من سنة ١٤٥٠ حتى سنة ١٤٦٦) .

كان إنتاج ليوناردو خلال تلك السنوات إنتاجا خالدا ورائعا فقد رسم « العذراء » سنة ١٤٩٣ وبدأ قمة إنتاجه الفنى « العشاء الأخير » على حائط فى دير « سانتا ماريا ديلا جراتسيا » ولكنه للأسف لم يعمر طويلا على الحائط وفشلت كافة المحاولات للمحافظة عليه محافظة تامة بعد أن قام الفنان الإيطالى الكبير « كافيناجى » بترميمه قدر الإمكان (لويجى كافيناجى ١٨٤٤ — ١٩١٨ اشتهر بمقدرته على إصلاح الرسومات الزيتية القديمة وكان مديرا فنيا لمتاحف الفاتيكان) ورغما عما أصابه فلا يزال يعتبر « العشاء الأخير » Cenacolo لليوناردو دافنشى من أجمل وأعظم الرسوم الزيتية فى العالم، وقد أطلق عليه « أروع عمل فنى فى أوج عصر النهضة » ، كما أطلق عليه « أكمل أداء فنى فى تاريخ الرسوم الزيتية فى كافة العصور » . حدث عندما دخل لويس الثانى عشر ميلانو بجيشه منتصرا على الدوق لوديفيكو سفورزا وطلب أن يرى هذا العمل الرائع وقف مبهورا أمام الحائط الذى رسم عليه وسأل مرافقيه عما إذا كان ممكنا نزع الحائط بأكمله لكى يحمله معه إلى فرنسا .

من أعمال ليوناردو الزيتية الخالدة والتى لا تقدر الآن بثمن اللوحات التالية :

Vergine col Bambino e Sant' Anna

العذراء مع يسوع المسيح والقديسه أنا

العـــــذراء Vergine delle Rocce

القديس يوحنا San Giovanni Battista

(تعميد يسوع المسيح) Il Battesimo de Gesu

وهذه كلها موجودة بمتحف اللوفر بباريس

سجود العرافين Adorazione dei Magi

وهى موجودة بـ « جاليريا أوفيسى » بفلورانس

الراهب جيرولامو سافونا رولا San Girolamo

(البشاره) Annunciazione

وهما موجودتان بمتحف الفاتيكان

فى مارس سنة ١٥٠٠ انتقل ليوناردو إلى مدينة البندقية ليخطط شئون الدفاع عنها بتكليف من دوق فينيسيا ، وهنال انكب على دراسة الرياضيات والعلوم الكونية ولكنه غادرها فى العام التالى عائدا إلى فلورانس حيث عاد إلى دراسة الجغرافية والرياضة والتشريح والفلك وأخذ يكتب عن المد والجزر وتحويل مجرى نهر الـ « أرنو » ، وغيرها .

فى سنة ١٥٠٢ اشتغل ليوناردو مع « فالنتينو بورجيا » بلقب كبير مهندسين وطاف معه إيطاليا الوسطى ورسم ست خرائط جغرافية رائعة للمناطق التى مسحها وهى موجودة فى الوقت الحاضر بالمكتبة الملكية فى قصر وندسور ببريطانيا ويصفونها بأنها روعة الفن العلمى فى رسم الخرائط .

خلال تلك الفترة كان ليوناردو يشتغل فى إنتاجه الخالد الرائع « مونا ليزا » التى انتهى منها سنة ١٥٠٦ وهى موجودة فى الوقت الحاضر بمتحف اللوفر ، وتكمن روعة هذه الصورة الزيتية فى وجه السيدة التى تبتسم ابتسامة غريبة ذات دهاء .

(الصورة هى رسم لـ Lisa Gherardini من نابولى زوجة فرانشسكو زانوبى دل جوكوندو Mona Lisa del Giocondo « La Gioconda ويطلق عليها الآن « مونا ليزا » .

فى سنة ١٥١٣ انتقل ليوناردو إلى روما فى خدمة أمراء عائلة « ميديتشى » ولكن لم ترقه الحياة فيها فسافر فى سنة ١٥١٦ إلى مدينة بولونيا فى شمال إيطاليا وأخيرا قبل عرضا لفرانسوا الأول ملك فرنسا وهاجر إلى فرنسا حيث أقام بقلعة « كلو » على نهر اللوار إلى أن أدركه الموت فى شهر مايو سنة ١٥١٩ بالغا من العمر سبعة وستين عاما .

كان ليوناردو دا فنشى طوال حياته متعطشا إلى المزيد من المعرفة فى كل فرع من فروع العلوم بشكل لم تعرفه البشرية حتى يومنا هذا ، ولم يسبقه إليه بشر . كان ليوناردو — بجانب ما ذكر عن نواحى عبقريته فى الرسم والنحت والموسيقى والشعر والغناء — دارسا لتشريح جسم الإنسان والحيوان ، كان أول من تنبه إلى علم الفسيولوجيا وعلم النبات ، كان معماريا وميكانيكيا ومهندسا عسكريا ومدنيا . فكر ليوناردو دا فنشى فى كثير من العلوم التى فكر فيها من بعده الفلكى « جاليليو جاليلاى » و « نيوتن » و « بيكون » وغيرهم .

كان ليوناردو دا فنشى عبقريا لم تعرف البشرية له مثيلا حتى يومنا هذا . والأمر الذى شهد به العلماء هو أنه لو أن ما كتبه ليوناردو فى مختلف العلوم والفنون قد نشر بعد وفاته لوفر ذلك على العلماء الذين جاءوا من بعده أجيالا طويلة من البحث ولكن ما دونه ليوناردو قد أهمل حتى القرن التاسع عشر عندما تبين للباحثين والعلماء بأن ليوناردو كان قد سبقهم إلى اكتشافات مختلفة فى ميادين كثيرة .

لقد تبين أخيرا بأن ليوناردو دا فنشى كان قد وضع تصميما لطائرة لو أتيح لها فى زمانه محركا بالبترول لطارت ، وترك رسوم تصميمات للهيلوكبتر والباراشوت وجهاز الغطس تحت الماء ، كما أنه فكر فى استعمال

ضغط البخار ووضع تصميما لمدفع يطلق بالبخار وبدالات للمراكب ورسومات لمدافع تعمر من قاعدة فوهاتها .

إن بعض الماكينات التى قام ليوناردو بتصميمها وبنائها مثل منشار قطع الرخام لا يزال يستعمل حتى يومنا هذا فى محاجر الرخام بمدينة كارارا — موطن الرخام الإيطالى — بايطاليا ، وكان أول من فكر فى علم الهيدراوليكا ، وهو الذى اكتشف الغرفة السوداء فى التصوير (chambre Obscure) وكان مقتنعا بالتكوين الذرى للماء ، وكان أول الدارسين لتكوين الزهور وأوراق الأشجار .

كانت لليوناردو دا فنشى نظريات ثابتة واكتشافات علمية اعترف له بها.

كان ليوناردو رجلا وسيما ، جميل الصورة ، قوى البنية ، رياضيا ، رقيق الجانب ، ظريفا ، محبوبا من الجميع ، عرف بكرمه ووفائه وصفاء صداقته .

ليوناردو دا فنشى هو صاحب أروع وأكمل أداء فنى فى تاريخ الرسوم الزيتية فى كافة العصور وأحد أربعة من الموهوبين الذين يمثلون العبقرية الخلاقة للجنس الإيطالى فى عصر النهضة فى أبدع صورها .

لم يكن كثيرا اذن أن يقال على ليوناردو دا فنشى بأنه المثل الكامل للعقل المتحضر فى الجسم السليم الكامل ، فلا غرو أيضا إن أطلق عليه حتى يومنا هذا الرجل الكامل .

* * *